الهم وكيف نعالجه

ملقين كل همكم عليه لأنه يعتني بكم

(١ بط ٥: ٧)

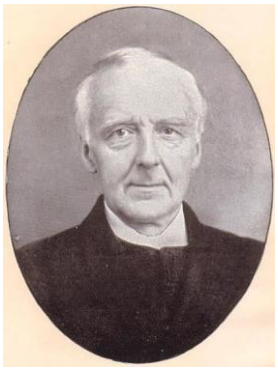

Frederick Brotherton Meyer (8 April 1847 – 28 March 1929)

كل كلمة من كلمات هذا العدد الثمين لها وزنها ، وهو إذ يرد في صيغة وصية إلهية فهذا دليل ليس فقط على إمكانية إطاعتها ولكن أيضا على استعداد الله أن يجعلنا قادرين على العمل بموجبها . وكل وصايا الله تحمل إمكانيات تنفيذها ، وكلماته بسلطان ، و نوره حياة . وما عليك إلا أن تظهر رغبتك أن تحيا هذه الحياة المتحررة التي لا تحمل الهم ، وتتجاسر أن تلقي بنفسك فوق أمواج عنايته ، و سوف تجد أنك بتصميمك على الطاعة ستنال منه القوة التي تجعل الطاعة متيسرة . الأهمية بمكان أن نطيع هذه الوصية ، وبذلك فقط ننعم بالسلام والقوة . وهناك أمران يحجبان وجه الله عنا : الخطية ، والهم . ويجب أن نصر على أن نطرح همومنا على الرب ليحملها كما يحمل خطايانا، فذرة رمل واحدة تدخل العين تمنعها من التمتع بأجمل المناظر الطبيعية واروعها ، وهم واحد قد يعكر صفو سلامنا ، ويحجب وجه الله عنا ، ويبسط سحابة من الحزن على نفو سنا . فيجب أن نلقي كل هم عليه إن كان لنا أن نعرف بركة الشركة التي لا تظللها السحب . والاستسلام للهم لا يخسرنا فقط البركة ، لكنه أمر يحزن الله ولا يكرمه . يحزنه كما تحزن المحبة حين تتهم بالخيانة . أمر يهينه ولا يكرمه . وقد تعودنا أن نحكم على أي أب من كلمات أولاده وتصرفاتهم ، وإن كان العالم يقدم تقرير عن الله بحسب نظرات أولاده وكلماتهم فلا بد أنه ينفر أكثر مما ينجذب ، فإما لا يوجد إله ، وإما أنه يعجز عن المساعدة، أو أنه لا يحب بالحق ، أو أنه لا يكترث باحتياجات أولاده . هذه هي انعكاسات الكثيرين ممن ينظرون إلى وجوه المدعوين شعب الله و بلاحظون القلق والهم والضجر والآثار العميقة التي تركتها الهموم في وجوههم.

ومن الطبيعي أن نتعرض للتأديب طالما نحن في هذه الحياة لأن الله يعاملنا كبنين ، وأي إبن لا يؤدبه أبوه ؟ . وقد تكون ضربات عصاه والكؤوس الممزوجة بيده مرة للجسد، لكن هذا يختلف تماما

عن الهم . قد يكون هناك الألم ، لكن لا شـــك من جهة محبة الآب ، ولا قلق من جهة النتائج ، ولا خوف من جهة المستقبل الذي يظهر لعين الإيمان لامعا كما تلمع دائرة الأفق رغم الغيوم القاتمة التي تخيم فوقها.

والهم كما في الأصـــل اليوناني هو ما يقســم النفس و يشــتتها ، فيبعدنا عن واجبنا في الحاضـــر إلى الانشـــغال بحســـاب مضـــني عن كيفية مواجهة الظروف التي قد لا تحدث قط ، فالقاق ، والخوف من عبور الجسور قبل الو صول إليها ، و توقع الخاوف في المستقبل ، هذا هو حال الذهن الذي يحتضن أخطاء الماضـــي ويعيش في ظلام أحداث منتظرة أكثر من التعلق بمحبة الله و التســليم لإرادته - وهذا هو الهم.

١ ـ كيف تعامل الهم:

« ملقين كل همكم عليه » و كما في الأصـــل اليوناني لا يعني هذا أن نفعل ذلك كل يوم بل مرة وإلى الأبد . وكلنا اختبرنا عندما نستيقظ في الصباح في شعور من التثقل والهبوط وقبل أن نستفيق تماما ، إذا هاجس يأتينا بسلسلة من المتاعب والمصـاعب ستقابلنا طول اليوم ، وتبدأ الهواجس تزداد، وإذا بصوت يهمس في أذنيك « آه ياله من يوم شوم» :. !

فنتســـاءل في فزع لماذا ؟ . و تذكر ذلك الدائن الذي ســـتقابله ، و تلك الأمور المربكة و المشـــاكل المحيرة، لا فائدة من الصلاة ، والأفضل أن تلبث حيث أنت ، و تقضى يومك كيفما يكون. وكثيراً ما قبلنا هذا الاقتراح، وحتى إن صـلينا لكن في غير أمل ، فنطلب من الله أن يسـاعدنا و نحن لا نتجاسـر أن نظن بانه سـيفعل . فلا ضـمان ولا ثقة ، ولا هدوء، ولا سـلام . وا أسـفاه كثيرون يقضـون حياتهم بهذه الصورة في قلق دائم.

وكم هو أفضـــل كثيراً أن نلقي همنا على أكتاف المســـيح القوية ، وأن نعامل الهموم كما نعامل الخطية . ألقي بهمومك واحدا فواحداً . سـلمها له وكأنها تخصـــه ولا تخصـــك ، و تطلع إليه بالإيمان قائلا » : وهذه يا رب ، وهذه ، وهذه لا أقدر أن أحملها. لقد حملت حطاياى فاحمل همومي أيضـا « وكما قال هربرت في أحد أشعاره : (ضـع همك في حقيبة المسيح)، وليس من طريق مؤكد للراحة أكثر من أن نبعث بكل ا ضطرابات الحياة إلى يسوع واثقين أنه يتسلم في الحال كل ما تسلمه أنه كما أنه لا بد أن يفعل كل ما بوســعه لكي يتمجد إســمه . ولا يجوز لنا قط أن نعود ونأخذ شـيئا سـبق أن سلمناه له « مبارك الرب يوما فيوما ، يحملنا إله خلاصنا » (مز ١٩:٩٨)، وحسب الترجمة الحديثة «مبارك الرب الذي يوماً فيوماً يحمل أثقالنا »

ولكن هناك أمران أو ثلاثة يجب أن تسـبق طرح الهم عليه : فينبغى أولاً أن نطرح خطايانا قبل أن نســـتطيع أن نطرح همومنا ، ومعنى آخر يجب أن نكون أولا ابناء في بيت الله ثم ينبغي أن نعيش بحسب إرادته ، وأن نكون واثقين من اننا نسير كما يريدنا هو. ونضـرب خيامنا تحت عمود سـحابته المظللة . كما لا يحب أن نهمل تغذية إيماننا بالمواعيد . وبعد أن نتمم . هذه الشـروط يكون من السـهل علينا أن نركع أمامه ونلقى همومنا عليه ، وإذ نقوم تلمع وجوهنا بإشراق مجده.

قد يكون علينا أن نســـتمر في شـــرب الكأس نســـير بحســـب الإرادة العليا ، لكن بعد أن زال المهم بأوجاعه.

٢ـ هموم مختلفة:

المهم من جهة النمو في النعمة : هذا شـــيء غير معقول لكنه شـــائع ، فنزعج إذ نحس أنا لا ننمو بالسـرعة المطلوبة ، ونضـطر أن نجري هنا وهناك لعلنا نلتقط شـيئا من الآخرين ، كطفل في فصـل الحضـانة يدخله الخوف من أن يعجز عن الوصـول للمدارس العليا. ولكن عمله الوحيد الآن ينحصـر في استيعاب الدروس التي يضعها المعلم أمامه ، و بعد ذلك يتعين على المعلم أن يعطيه دروسا أخرى أكثر وأصـعب ، وأن ينقله إلى مرحلة أعلى حيث يتحقق التقدم السـريع . و بالنسـبة لنا علينا أن نتعلم كل يوم الدروس التي يضـــعها الرب يســـوع أمامنا ، وأن نترك له مســـؤولية قيادتنا للنمو في معرفة ومحبة الله . ألقي هم نموك على قائد النفوس العظيم، و اقنع أن تجلس عند قدميه لتتلقن منه الدروس.

الهم من جهة عمل الله : كيف نضـمن زيادة عدد الحضـور في إجتماعاتنا . وكيف نضـمن كفاءة و جدارة ترتيباتنا ؟. و كيف ندبر المال اللازم لمطاليب الخدمة ؟. و كيف نرعى قطيعاً كبيراً من النفوس ؟ . ما أكثر عناصـــر الهم التي تجمع حول هذه الأمور ، وما أكثر الحالات التي تســـبب فيها النظرة القلقة أو جاعاً في القلب . لكن اذكر ، عمل من هو ؟ . إن كان العمل يقع على كاهلك أنت وحدك فقد يكون هناك ما يبرر حمل الهم ، لكن إذ أن العمل يخص ســـيدك فإن أعباءه تقع عليه ، والمسئول الأول هو المسيح ولست أنت ، وهو الذي يعمل فيك وأنت لست إلا خادما له ، وليس عليك إلا أن تنفذ تعليماته بكل ما في استطاعتك ، وهو يتحمل كل المسؤولية وكل تكاليف العمل.

الهم بســبب الأمور الزمنية : يوجد بعض الناس تعرضـــهم أعمالهم لحمل الهم والقلق ، وكثيرون من المؤمنين يخشون الفاقة ، ويرفضون التمتع بالأشياء الصالحة التي في أيديهم الآن بسبب الخوف من احتمالات المســتقبل . وكم يقيد هذا القلق حياة الكثيرين .. لكن كل ســبب من أســباب القلق يمكن أن يتحول إلى وسيلة من وسائل النمو في النعمة والدخول في شركة جديدة مع يسوع ، إذا طرح الهم عند قدميه في ثقة كاملة في عنايته . لا تكتفي أن تلقى نفسك على الله ، بل الق همك أيضا ، والذي يستطيع أن يحمل الواحد يحمل الآخر أيضـــا . إنه لا يقدر أن يترك ، ولا يمكن أن يفشـــل . هو الذي يحطم الصخور ، وبشق البحور ، ويفتح كنوز السماء و مخازن الأرض ، يأمر الطيور فتأتي بالخير واللحم ، والأسماك فتقدم النقود ، يرفع الجزائر كدقة ، فكم بالأيسر أثقل أحمالك ؟. لا يستحيل عليه شـيء ، فكم بالحرى أن يحمل أثقالك.

٣ـ مبررات هذا السلوك :

« لأنه يعتني بكم »

مهما جاهدنا لنعمل ما هو لخير نفوسنا فسوف نصل إلى أفضل ما في استطاعتنا أن نعمله ، لكن إن كنا نسـلم كل الأمور له فسـنجد أنه « يفعل فوق وأكثر جدا ما نطلب أو نفتكر »وإن كان الأب يدبر دائما احتياجات الغد ، فهل يحق لطفله الصـغير أن يترك اللعب و يرتكن على الحائط مفكرا فيما

سوف يفعل في غده ؟! و إن كان لك صديق حكيم موضع ثقتك قد تعهد أن يحمل تبعة بعض الأمور التي تزعجك ، فهل يحق لك أن تضطرب أيضا ؟!. فالله يعتني بك بقدر ما إنه جاء في شخص إبنه لكي يفديك ، ولم يأت وقت قط لم يظهر لك فيه دلائل محبته وعنايته . إنه يهتم بك لدرجة أنه يصغي لأقل تنهداتك وأناتك التي لا تكاد تسمع بين أصوات موسيقى السماء.

إن قلب الله الرحب يمتلىء اهتماماً بكل ما يعنيك ، ولا توجد أم تعتني بطفلها العليل كما يعتنى هو بك . إنه يقرأ احتياجاتك ورغباتك قبل أن تعبر عنها ، أو حتى تشعر بها . فليتنا نثق فيه ، فاللسان يعجز عن التعبير عن كمال وعظمة أفكاره من جهتنا . ذاك الذي يجمعنا ويحمينا كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها.

«أريد أن تكونوا بلا هم»

منقول من كتاب (امتحان الإيمان) مع التنسيق والتعديل لسنة ١٩٧٠